الجغرافيا الاجتماعية وجدلية المكان الاجتماعية

الفصل الاول من كتاب

مدخل الى جغرافية الحضر الاجتماعية

بول نوكس و ستيفن بنج

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

الأسئلة الرئيسية التي يتناولها هذا الفصل

- لماذا يهتم الجغرافيون بهياكل المدن ؟
- ما هي المساهمات المميزة التي يمكن أن يقدمها الجغرافيون لفهم هذه الهياكل ؟
- كيف تعكس هياكل المدن التغيرات الاقتصادية والديموغرافية والثقافية والسياسية ؟
- لماذا يُفرز سكان المدن حسب العرق والطبقة الاجتماعية لإنتاج أحياء سكنية مميزة ؟
- ما هي العمليات المسؤولة عن هذا الفرز ؟
- هل هناك أي خصائص أخرى تُفرّق الأفراد والأسر ماديًا داخل المدينة ؟
- كيف تؤثر منطقة إقامة الشخص على سلوكه ؟
- كيف يختار الناس مكان سكنهم ؟
- وما هي القيود المفروضة على خياراتهم ؟
- ما هي المجموعات، إن وُجدت، القادرة على التلاعب بجغرافية المدينة، ولمصلحة من؟

هذه بعض الأمثلة ، للأسئلة الرئيسية التي سنتناولها في هذا الكتاب . وكما يُقرّ العديد من الكُتّاب الآن ، فإنّ الإجابة عن مُعظم هذه الأسئلة تكمن في نهاية المطاف في السياق الأوسع للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي . ويترتب على ذلك أنّ الفهم السليم لأي مدينة يتطلّب نهجًا واسعًا للغاية . **ففي المدينة ، يرتبط كل شيء بكل شيء آخر؛ وغالبًا ما يصعب فصل السبب عن النتيجة** . وفي الجغرافيا ككل ، هناك العديد من المناهج المختلفة لفهم المدن . وقد تمّ تحديد أربعة مناهج رئيسية في الأدبيات الحديثة .

مناهج الجغرافيا البشرية

المنهج الكمي

أولًا، هناك المنهج الكمي ، الذي يحاول تقديم أوصافا للتنظيم المكاني للمدن باستخدام بيانات إحصائية مُمثّلة في شكل خرائط ورسوم بيانية وجداول ومعادلات رياضية . استُلهم هذا النهج من الاقتصاد الكلاسيكي الحديث وعلم الاجتماع الوظيفي . تهدف هذه المناهج إلى أن تكون "علمية" ، مقدمةً أوصافًا موضوعية للمدن بطريقة لا تؤثر فيها قيم ومواقف الباحث على التحليل . غالبًا ما يُطلق على هذه المحاولة لفصل المراقب عن المرصود اسم النهج الديكارتي (نسبةً إلى الفيلسوف ديكارت) . ومع ذلك ، فقد تساءل الكثيرون عن إمكانية هذا الحياد ، لأن قيم الباحث ستنعكس حتمًا في البيانات المختارة والأطر النظرية والكلمات والاستعارات المستخدمة لتمثيل هذه البيانات .

النهج السلوكي

ثانيًا ، ما يُسمى بالنهج السلوكي ، الذي ظهر في البداية كرد فعل على الافتراضات المعيارية غير الواقعية (أي النظريات المتعلقة بما ينبغي أن يكون ، بدلًا من ما هو موجود بالفعل) للوصف الوظيفي الكلاسيكي الحديث . ينصب التركيز هنا على دراسة أنشطة الناس وعمليات صنع القرار (مكان العيش ، على سبيل المثال) ضمن عوالمهم المُدرَكة . تُشتق العديد من المفاهيم التفسيرية من علم النفس الاجتماعي ، على الرغم من أن علم الظواهر، بتركيزه على الطرق التي يختبر بها الناس العالم من حولهم ، قد مارس أيضًا تأثيرًا كبيرًا على البحوث السلوكية .

لطالما اهتم الجغرافيون بالعلاقات بين البيئات الحضرية وجوانب معينة من سلوك الناس . يمكن أن يقع هذا النوع من النهج بسهولة في إطار تفكير حتمي ، حيث يكون "المكان" سببًا . في الواقع ، فإن العلاقات بين البيئات والسلوك متبادلة : "يأخذ الحي السكني طابعه من قيم وأنماط حياة سكانه ؛ ومع ذلك ، في المقابل ، تُعد شخصيته أيضًا سياقًا تعمل على تعزيز وتضييق نطاق الاستجابات البشرية" (لي، 1983، ص 23) . مع ذلك ، ركّزت معظم الأبحاث في هذا المجال على كيفية تأثير "شخصية" البيئات الحضرية على سلوك الأفراد والجماعات ، وعلى وجه الخصوص ، على كيفية ارتباط السلوك "المنحرف" بالبيئات الحضرية .

المنهج البنيوي

ثالثًا ، هناك المنهج المعروف عمومًا باسم البنيوية . فعلى عكس المنهجين الكمي والسلوكي ، يُبدي البنيويون شكوكًا شديدة تجاه المظاهر اليومية وردود أفعال الناس الذاتية تجاه العالم وتفسيراتهم له . وبدلًا من ذلك ، يُجادلون بأنه لفهم المجتمع ، يجب على المرء أن يسبر أغوار العالم الخارجي الواضح لفهم الآليات الكامنة ورائه . وبما أنه لا يمكن ملاحظة هذه الآليات مباشرةً ، فيجب دراستها من خلال عمليات التفكير المجرد من خلال بناء النظريات .

استُخدم هذا المنهج البنيوي في البداية لدراسة المجتمعات "البدائية" . وعلى الرغم من تنوع الأشكال الثقافية التي يمكن العثور عليها في جميع أنحاء العالم ، فقد جادل البعض بوجود هياكل ثقافية عالمية أساسية تحكم جميع السلوكيات البشرية (مثل تحريم سفاح القربى) . ومع ذلك ، فقد ربط معظم الجغرافيين بين المناهج البنيوية والنظريات الماركسية ، بدلاً من الأنثروبولوجيا . وتحاول هذه المناهج تحديث الأفكار التي وضعها كارل ماركس في سياق المدينة الصناعية في القرن التاسع عشر (والتي تُسمى أحيانًا الماركسية الكلاسيكية) في ضوء تطورات القرن العشرين . وتُسمى هذه النظريات الماركسية المُحدثة أحيانًا أيضًا بالمناهج الماركسية الجديدة . وقد جادل ماركس بأن الآلية الأساسية الكامنة في المجتمع الرأسمالي تتمثل في الصراع بين طبقتين رئيسيتين حول مسألة القيمة : أولاً ، الطبقة المكونة من أصحاب رأس المال ، وثانيًا ، طبقة العمال الذين لا يملكون سوى قوة عملهم .

وبالطبع ، فقد تغير الكثير منذ أن كتب ماركس في القرن التاسع عشر. وعلى وجه الخصوص ، أصبح كل من البنية الطبقية ودور الدولة أكثر تعقيدًا . ومع ذلك ، تحاول الرؤى الماركسية ، في جوهرها ، ربط التطورات المجتمعية المعاصرة بالصراع الطبقي على القيمة . وهكذا ، تُشدد المناهج البنيوية على القيود المفروضة على سلوك الأفراد من قِبل تنظيم المجتمع ككل ، ومن قِبل أنشطة الجماعات والمؤسسات القوية داخله . وقد جادل النقاد بأن المنظرين الماركسيين، بتقليلهم من شأن تصورات الناس ، يتجاهلون حقيقة وجود صراعات عديدة ومختلفة في المجتمع ، بالإضافة إلى تلك القائمة على الطبقة ، مثل تلك القائمة على الجنس ، والعرق ، والعمر، والتوجه الجنسي ، والدين ، والإعاقة ، والجنسية ، والانتماء السياسي ، وموقع الحي السكني ، وما إلى ذلك . وهناك اعتراف متزايد بوجود العديد من المصالح المختلفة في المدينة ، والعديد من "الأصوات" المختلفة ، والنظريات المختلفة التي يمكن أن تُمثل هذه المصالح .

يجادل النقاد أيضًا بأن النظريات الماركسية تفتقر إلى حسٍّ كافٍ بالفاعلية البشرية (أي قدرة الناس على اتخاذ خيارات واتخاذ إجراءات للتأثير على مصائرهم) . ومع ذلك ، لا شك أن كثيرًا من الناس عاجزون نسبيًا في مواجهة القوى الاقتصادية . علاوة على ذلك ، من المهم ملاحظة أن النظريات الماركسية متنوعة في طبيعتها ، وقد حاول العديد من الباحثين التغلب على هذه القيود في السنوات الأخيرة . وكما سنرى لاحقًا في هذا الكتاب ، فإن المبادئ الأساسية للتفكير البنيوي تُزودنا بأدوات فعّالة لفهم التغيير الاجتماعي المعاصر (ينظر أيضًا الملحق 1 حول ديفيد هارفي - أبرز مناصري المناهج الماركسية في الجغرافيا البشرية) .

مناهج ما بعد البنيوية

تُعارض مناهج ما بعد البنيوية بشدة فكرة أن العالم يمكن تفسيره من خلال بنية أساسية واحدة خفية ، مثل الصراع الطبقي . بدلًا من ذلك ، يُجادلون بوجود أبعاد متعددة ومتغيرة وغير مستقرة لعدم المساواة في المجتمع . بالإضافة إلى ذلك ، يُقال إن هذه التفاوتات تنعكس في أشكال مختلفة من التمثيل ، بما في ذلك اللغة ، والنظريات الفكرية ، والإعلانات ، والموسيقى الشعبية ، ومظاهر المدن . تتضمن جميع هذه الأشكال من التمثيل مجموعات من المعاني المشتركة - ما يُسمى بالخطابات . لذلك ، تُجادل ما بعد البنيوية بأنه لا توجد تجربة بسيطة غير مُنقّاة - فجميع تجاربنا تُصفّى من خلال مجموعات مُحددة من القيم الثقافية . ويترتب على ذلك أن الطريقة التي نُمثل بها الواقع لا تقل أهمية عن الواقع الكامن نفسه . من الواضح إذن أن الكلمات ليست محايدة ، بل تحمل افتراضات ومعانٍ كامنة قوية . يعني هذا أن تحليل الثقافة أمرٌ بالغ الأهمية لفهم اللغة والخطاب . كان تأثير التفكير ما بعد البنيوي على جغرافية الحضر الاجتماعية كبيرًا، لدرجة أن هذا التخصص الفرعي اتخذ "منعطفًا ثقافيًا" واضحًا.

دراسة جغرافية الحضر الاجتماعية

سيتم تسليط الضوء على آثار وجهات النظر المختلفة هذه بمزيد من التفصيل في مراحل مُختلفة من هذا الكتاب . في الوقت الحاضر، تجدر الإشارة إلى **أن المدن ليست مجرد هياكل مادية ، بل هي أيضًا نتاج خيال بشري** . يُستخدم الجمع ، "جغرافيات" ، عادةً ليعكس حقيقة أن الناس المختلفين لديهم مفاهيم متباينة على نطاق واسع عن المناطق الجغرافية. وبالطبع ، يمكن أن تتغير رؤانا الخاصة لهذه المساحات بمرور الوقت . يعني هذا أنه لا يمكن أن تكون هناك جغرافيا اجتماعية حضرية واحدة . النقطة الحاسمة هي أن هذه الجغرافيات الخيالية تُشكل الهياكل المادية للمدن ، والطرق التي نتأثر بها بدورنا من خلال هذه الهياكل . على سبيل المثال، غالبًا ما تُصوَّر الضواحي على أنها متجانسة اجتماعيًا ، وآمنة نسبيًا ، وتهيمن عليها النساء ، ومجالات منزلية وخاصة . على النقيض من ذلك ، تُصوَّر المدينة المركزية على أنها مساحة عامة غير متجانسة اجتماعيًا ، ويهيمن عليها الرجال ، وخطيرة نسبيًا . وكما سيُوضَّح في الفصول اللاحقة ، لا شك أن هناك قدرًا كبيرًا من الحقيقة في هذا التوصيف . ومع ذلك ، هناك مجموعة متزايدة من الأبحاث التي تُسلّط الضوء على قيود وتبسيطات التمييز بين العام والخاص ، والذكور والإناث .

ومع ذلك ، فقد شكّلت هذه الأفكار أو الصور النمطية أيديولوجية قوية (أي مجموعة أفكار مهيمنة) أثّرت على التخطيط والتصميم الحضريين . وكما سنرى بمزيد من التفصيل في الفصل الثالث ، فإن الأبعاد المادية للمدينة تعكس قيمنا الثقافية ، وفي الوقت نفسه تُساهم في تشكيلها . ويُعد استخدام الاستعارات المختلفة محور هذه التصورات عن المدن . فالاستعارة هي طريقة لوصف شيء ما مجازيًا بالإشارة إلى شيء آخر غير مناسب حرفيًا (مثل مصطلح "الغابة الحضرية") . وللعديد من الاستعارات التي استُخدمت لوصف المدن وتحليلها وفهمها دلالات سلبية ، تعكس المشاعر المعادية للحضر التي تكمن وراء قدر كبير من التفكير الغربي

حول المدن (المدينة كونها "متاهة" أو "كابوسًا" أو "غابة") . ومع ذلك ، يتجلى الدور الغامض للمحيطات الحضرية من خلال الاستعارات التي تصور المدن كمواقع للإثارة والتحرر والتنوير (المدينة كـ"منتزه ترفيهي" أو "مسرح" أو "بوتقة انصهار") . يتجلى هذا التعقيد في أوصاف مناطق الأحياء الفقيرة في وسط المدن التي تسكنها الأقليات العرقية ؛ فمن جهة ، غالبًا ما تُصوَّر على أنها مناطق متدهورة تعج بالجريمة ، ومن جهة أخرى ، غالبًا ما تُصوَّر أيضًا كمساحات للانبعاث الثقافي . وبالتالي ، فإن هذه الاستعارات ليست مجرد ذريعة فنية ؛ بل تُستخدم لفهم المدن ، ويمكنها تبرير مناهج مختلفة للسياسات الحضرية .

ترتبط بهذا نقطة حاسمة أخرى - فالاستعارات والنظريات والمفاهيم وأساليب التمثيل التي نستخدمها لتحليل المدن لا يمكن عدها محايدة وموضوعية وخالية من القيم . بل تميل إلى تمثيل وجهات نظر نظرية و مصالح جماعات محددة . هذه المصالح ليست واضحة دائمًا . فما قد يبدو نظرية محايدة تصور أوجه عدم المساواة في مدينة ما على أنها نتيجة طبيعية حتمية قد يدعم الظروف القائمة في المجتمع . على سبيل المثال، قلة من الدراسات كانت أكثر تأثيرًا من دراسة مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري (ينظر الفصل 7) ، التي استخدم منظروها استعارة بيولوجية . وعلى الرغم من سعيهم إلى إنتاج رؤية "علمية" للمدينة ، إلا أن اختيارهم للاستعارة ساعد في جعل النظام الاجتماعي القائم يبدو طبيعيًا وحتميًا . لذا ، ينبغي النظر إلى جميع الأفكار والنظريات أو "ادعاءات المعرفة" بشكل نقدي .

جدلية المكان الاجتماعية

تُنشأ المساحات الحضرية من قِبل الناس ، وهي تستمد طابعها من الأشخاص الذين يسكنونها . وبينما يعيش الناس ويعملون في المساحات الحضرية ، فإنهم يفرضون أنفسهم تدريجيًا على بيئتهم ، ويعدلونها ويكيفونها ، قدر استطاعتهم، لتناسب احتياجاتهم وتعبر عن قيمهم . ومع ذلك ، في الوقت نفسه ، يتكيف الناس أنفسهم تدريجيًا مع بيئتهم المادية ومع الأشخاص من حولهم . وبالتالي ، هناك عملية مستمرة ذات اتجاهين ، وهي جدلية اجتماعية مكانية(Soja ،1980)، حيث يُنشئ الناس ويغيرون المساحات الحضرية ، بينما يتكيفون في الوقت نفسه بطرق مختلفة مع المساحات التي يعيشون ويعملون فيها . تُنشأ الأحياء السكنية والمجتمعات ، وتُحافظ عليها ، وتُعدل ؛ في الوقت نفسه ، لا بد لقيم ومواقف وسلوكيات سكانها أن تتأثر بمحيطهم وبقيم ومواقف وسلوكيات الناس من حولهم . وفي الوقت نفسه ، تُهيئ عمليات التحضر الجارية سياقًا للتغيير تتفاعل فيه القوى الاقتصادية والديموغرافية والاجتماعية والثقافية باستمرار مع هذه المساحات الحضرية .

إذن ، لا يمكن عد الفضاء مجرد وسيط محايد تُعبَّر فيه العمليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فهو ذو أهمية في حد ذاته ، إذ يُسهم في كل من نمط التنمية الحضرية وطبيعة العلاقات بين مختلف الفئات الاجتماعية داخل المدينة . ولا شك أن الفضاء والمسافة مهمان كمحددين للشبكات الاجتماعية والصداقات والزواج . وبالمثل ، غالبًا ما تُشكل الإقليمية أساسًا لتطور بيئات اجتماعية مميزة ، والتي ، بالإضافة إلى أهميتها في حد ذاتها ، تُعد مهمة نظرًا لقدرتها على تشكيل مواقف وسلوك سكانها . تبرز المسافة أيضًا كعامل حاسم في جودة الحياة في مختلف أنحاء المدينة ، نظرًا لاختلاف إمكانية الوصول الفعلي إلى الفرص والمرافق ، مثل الوظائف والمتاجر والمدارس والعيادات والحدائق والمراكز الرياضية . ولأن الفوائد التي يوفرها القرب من هذه المرافق تُسهم بشكل كبير في رفاهية الناس ، فإن القضايا المتعلقة بالموقع غالبًا ما تُشكل محورًا للصراع داخل المدينة ، مما يُعطي المنظور المكاني دورًا رئيسيًا في تحليل السياسات الحضرية . كما يُمثل تقسيم المساحة من خلال إنشاء حدود إقليمية قانونية (رسمية) سمة مكانية مهمة لها تداعيات مباشرة على العديد من مجالات الحياة الحضرية . فعلى سبيل المثال ، لحدود مناطق تجمع

المدارس آثار مهمة على وضع المجتمع وأسعار المساكن ، في حين أن تشكيل الدوائر الانتخابية أمر بالغ الأهمية لنتائج المنافسات السياسية الرسمية في المدينة .

السياق الجغرافي الكلي

يتناول هذا الكتاب مدن الدول المتقدمة التي تسودها مجتمعات "ما بعد صناعية" (أي مجتمعات شهدت تراجعًا في التوظيف الصناعي ونموًا في التوظيف في صناعات الخدمات المتقدمة) . قد يكون مصطلح "ما بعد صناعية" مُضلِّلًا ، إذ ما تزال هناك صناعات تحويلية كبيرة في هذه المدن . ومع ذلك ، فإن تسمية "ما بعد" تُشير إلى أن هذه المدن شهدت تغيرات مُختلفة تُميزها عن المدن الصناعية الكلاسيكية في القرنين التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وتقع المجتمعات التي تشهد هذه التغيرات أكثر فأكثر في أوروبا وأمريكا الشمالية ، حيث تُعدّ مستويات التحضر من بين أعلى المعدلات في العالم . ولا يُقصد من الإشارة إلى مدن أخرى تصحيح هذا التحيز، بل تقديم أمثلة مُتناقضة أو مُتكاملة ، ولوضع الحجج في سياق أوسع .

ومع ذلك ، حتى ضمن النطاق الثقافي والجغرافي الضيق نسبيًا لأوروبا وأمريكا الشمالية ، هناك اختلافات مهمة في طبيعة البيئات الحضرية . سيتم شرح هذه الأمور في متن النص ، ولكن من المهم الحذر من قصر النظر الثقافي منذ بداية أي نقاش حول الجغرافيا الحضرية (أي افتراض أن الترتيبات في بلد المرء أو ثقافته هي المجموعة الوحيدة الممكنة من الترتيبات أو أنها نهج أفضل) . لذلك ، من المهم الاعتراف بالاختلافات الرئيسية بين المدن الأوروبية ومدن أمريكا الشمالية . من ناحية ، المدن الأوروبية عمومًا أكثر تنوعًا . أقدم ، مع إرث ملموس من أنماط سابقة للتنظيم الاقتصادي والاجتماعي متأصل في بنيتها المادية .

ويتمثل تباين آخر في تركيبة سكان المناطق الحضرية ، ففي معظم أنحاء أوروبا ، كانت أهمية الأقليات عمومًا أقل بكثير مما كانت عليه في أمريكا الشمالية حتى وقت قريب . وينبع اختلاف رئيسي ثالث من الطريقة التي تطورت بها الحكومة الحضرية . فبينما تميل مدن أمريكا الشمالية إلى التفتت إلى عدد من البلديات المنفصلة والمستقلة تمامًا ، فإن المدن الأوروبية أقل تفتتًا ، حيث تُمول خدماتها العامة إلى حد كبير من قبل الحكومة المركزية ، مما يُتيح توزيعًا أكثر إنصافًا للموارد داخل المدينة ككل . ولا ينفصل هذا عن مصدر مهم آخر للتباين - وهو وجود دول رفاهية أكثر تطورًا في أوروبا . فهذا لا يؤثر فقط على حجم وتخصيص الأجر الاجتماعي داخل المدن ، بل له أيضًا آثار عميقة على الجغرافيا الاجتماعية للمدينة من خلال تشغيل سوق الإسكان . في حين أن أقل من 5% من عائلات المدن الأمريكية تعيش في مساكن عامة ، فإن أكثر من 20% من العائلات في العديد من المدن البريطانية تعيش فيما يمكن تسميته "مساكن اجتماعية" (أي مساكن مستأجرة من السلطات العامة أو جمعيات الإسكان العاملة في القطاع غير الربحي).

تجدر الإشارة إلى أنه في أوروبا ، حيث تكون أيديولوجية الخصخصة العامة أقل وضوحًا ، وحيث يوجد منذ فترة وعي حاد بضغوط التمدد الحضري على الأراضي الزراعية الرئيسية ، فإن قوة وتأثير تخطيط المدن أوسع نطاقًا بكثير. ونتيجة لذلك ، فإن مورفولوجيا المدن الأوروبية وبنيتها الاجتماعية تدين بالكثير لقوانين وفلسفات التخطيط . وهكذا ، على سبيل المثال ، كانت لامركزية الوظائف والمنازل وانتشار محلات السوبر ماركت ومراكز التسوق خارج المدينة أقل وضوحًا في أوروبا منها في أمريكا الشمالية ، ويرجع ذلك أساسًا إلى سياسة الاحتواء الحضري التي انتهجها المخططون الأوروبيون . النتيجة الطبيعية لذلك ، بطبيعة الحال ، هي أن المناطق التجارية المركزية (CBDs) في المدن الأوروبية تميل إلى الاحتفاظ بحيوية تجارية أكبر من العديد من نظيراتها في أمريكا الشمالية . وأخيرًا ، تجدر الإشارة إلى وجود اختلافات إقليمية ووظيفية مهمة في الجغرافيا الاجتماعية للمدن . فمدن شمال شرق أمريكا ، على سبيل المثال ، تختلف اختلافًا كبيرًا ، في بعض النواحي ، عن مدن "حزام الشمس" ، وكذلك مدن كندا والولايات المتحدة .

السياق المتغير لجغرافية الحضر الاجتماعية

أصبح وصف المدن أمرًا مستحيلًا . فمراكزها لم تعد مركزية كما كانت في السابق ، وحوافها غامضة ، وليس لها بدايات ، ويبدو أنها لا نهاية لها . لا الكلمات ولا الأرقام ولا الصور قادرة على استيعاب أشكالها المعقدة وبنيتها الاجتماعية بشكل كافٍ . (إنجرسول، ١٩٩٢، ص ٥) في اللحظة التي تعلمنا فيها أن نرى ، بل وأن نحب ، النظام الغريب الكامن تحت ما عدته الأجيال السابقة فوضى المدينة الصناعية... جائت موجة عارمة من مجمعات المكاتب التجارية المتشابهة ، والفنادق ذات الأجنحة الفاخرة ، والمنازل المزينة بالجص ، لتدفعنا إلى دوامة أخرى من الفوضى . (ساندويس، ١٩٩٢، ص ٣٨) بات من الواضح الآن أن المدن في جميع أنحاء العالم المتقدم قد دخلت مؤخرًا مرحلة جديدة - أو على الأقل ، بدأت مرحلة انتقالية مميزة - ذات آثار مهمة على مسار التحضر وطبيعة التنمية الحضرية . تعود جذور هذه المرحلة الجديدة إلى ديناميكيات الرأسمالية ، وخاصةً **عولمة الاقتصاد الرأسمالي** ، وتزايد هيمنة شركات التكتلات الكبرى ، والتحول المطرد داخل اقتصادات العالم الأساسية بعيدًا عن الصناعات التحويلية نحو أنشطة الخدمات . ومع ذلك ، ومع تزايد زخم هذا التحول الاقتصادي الجوهري ، بدأت تتجلى أيضًا تحولات أخرى - في التركيبة السكانية ، وفي الحياة الثقافية والسياسية .

التغيير الاقتصادي وإعادة الهيكلة الحضرية

منذ سبعينيات القرن الماضي ، دخلت اقتصادات أوروبا وأمريكا الشمالية مرحلة مختلفة تمامًا - غالبًا ما يُشار إليها بنظام الإنتاج الفوردي الجديد (ينظر الفصل الثاني) - من حيث ما تُنتجه ، وكيف تُنتجه ، وأين تُنتجه . وفيما يتعلق بما تُنتجه ، كان الاتجاه السائد هو التحول بعيدًا عن الزراعة والصناعات التحويلية نحو أنشطة الخدمات . ومع ذلك ، كانت هناك اختلافات جوهرية في أداء مختلف أنواع الخدمات . خلافًا للنظرة السائدة إلى خدمات التجزئة وخدمات المستهلك كقوة دافعة في الاقتصادات المتقدمة ، فإنها في الواقع لم تنمو بسرعة كبيرة . بل إن خدمات الإنتاج (أي خدمات الأعمال) ، وخدمات القطاع العام ، والخدمات غير الربحية (خاصةً التعليم العالي وبعض جوانب الرعاية الصحية) هي التي ساهمت بشكل كبير في توسع التوظيف في قطاع الخدمات .

وكما سنرى في الفصول اللاحقة ، فقد انعكست هذه التحولات الاقتصادية في الجغرافيا الاجتماعية للمدن المعاصرة بطرق متنوعة مع إعادة هيكلة أسواق العمل . وفيما يتعلق بكيفية تنظيم الإنتاج ، كان هناك اتجاهان رئيسيان . الأول نحو احتكار القلة ، حيث طردت الشركات الأكبر والأكثر كفائة منافسيها وسعت إلى تنويع أنشطتها . والثاني هو التحول عن الإنتاج الضخم نحو أنظمة إنتاج مرنة للأسواق المتخصصة . كان لهذا الاتجاه أهمية أكبر بكثير للجغرافيا الاجتماعية الحضرية ، إذ انطبعت مرونة النشاط الاقتصادي بالتنظيم الاجتماعي والحياة الاجتماعية للمدن ، مما أدى إلى خلق انقسامات جديدة واستغلال الانقسامات القديمة . وفيما يتعلق بأماكن الإنتاج ، كان الاتجاه الرئيسي هو إعادة توزيع النشاط على المستويات الحضرية والوطنية والدولية - استجابةً إلى حد كبير لإعادة هيكلة التكتلات الكبرى .

ومع تطور التكتلات الكبرى الجديدة ، قامت بترشيد عملياتها بطرق متنوعة ، مما أدى إلى القضاء على ازدواجية الأنشطة بين المناطق والدول ، ونقل عمليات الإنتاج والتجميع الروتينية إلى مناطق ذات تكاليف عمالة أقل ، ونقل عمليات "المكاتب الخلفية" إلى الضواحي ذات الإيجارات والضرائب المنخفضة ، ودمج وظائف المكتب الرئيسي ومختبرات البحث والتطوير في البيئات الرئيسية . ونتيجة لذلك ، أعادت مجموعة معقدة ومتناقضة من العمليات صياغة العديد من المظاهر الاقتصادية العالمية . من أهم النتائج

المتعلقة بجغرافية الحضر الاجتماعية تراجع التصنيع في العديد من المدن والمناطق الحضرية في المراكز الصناعية في أوروبا وأمريكا الشمالية . ومن النتائج الأخرى تسريع لامركزية كل من قطاعي التصنيع والخدمات داخل المناطق الحضرية . أما النتيجة الثالثة فكانت تحول بعض أكبر المدن إلى مدن عالمية (تُسمى أيضًا مدنًا عالمية) متخصصة في إنتاج ومعالجة وتداول المعلومات والاستخبارات المتخصصة (ينظر الفصل الثاني) . أما النتيجة الرابعة فكانت إعادة مركزية العمالة الإنتاجية والخدمية رفيعة المستوى .

وفي الوقت نفسه ، أدت العولمة الاقتصادية وتأثير تقنيات الاتصالات الرقمية الجديدة إلى دفع مدن وأجزاء من المدن إلى أدوار مختلفة - وسريعة التغير - في دوائر متزايدة الاتساع ومعقدة بشكل متزايد من التبادل الاقتصادي والتكنولوجي في إطار الفوردية الجديدة (ينظر الفصل الثاني) . بدأت أنماط التحضر التقليدية تُستبدل بديناميكية جديدة تمامًا تهيمن عليها تجمعات من الأشخاص والشركات والمؤسسات فائقة الترابط ، مع تزايد اتصالات النطاق العريض مع أماكن أخرى عبر الإنترنت والهواتف المحمولة والتلفزيون الفضائي وسهولة الوصول إلى خدمات المعلومات . بدأ التطور غير المتكافئ لشبكات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تشكيل آفاق حضرية جديدة للابتكار والتنمية الاقتصادية والتحول الثقافي ، وفي الوقت نفسه تفاقم التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية داخل المدن ، مما أدى إلى ما أسماه ستيفن غراهام وسيمون مارفن (2001) **بتفتيت التحضر** .

أدت هذه التغييرات حتمًا إلى تغييرات كبيرة في الجغرافيا الاجتماعية لكل مدينة ، أثرت على كل شيء بدءًا من البنية الطبقية وتنظيم المجتمع وصولًا إلى تقديم الخدمات الحضرية وهيكل السياسات الحضرية . في غضون ذلك ، أدت إعادة الهيكلة الاقتصادية والانتقال إلى الفوردية الجديدة إلى بعض التغييرات المهمة في تكوين أسواق العمل الحضرية ، ليس أقلها الميل نحو الاستقطاب الاقتصادي . كانت إحدى النتائج الملحوظة زيادةً حاسمةً في البطالة في مدن المناطق الصناعية الأساسية في العالم . ومن النتائج المهمة الأخرى أن التحول عن التصنيع أدى إلى انخفاضٍ كبيرٍ في العمالة اليدوية ، وزيادةٍ متناسبةٍ في العمالة المكتبية . وقد انقسمت العمالة المكتبية نفسها بشكلٍ متزايدٍ بين الوظائف المهنية والإدارية من جهة، والوظائف الكتابية الروتينية من جهةٍ أخرى . وفي الوقت نفسه ، بدأ **التقدم في التكنولوجيا والأتمتة** ، داخل قطاع التصنيع ، في استقطاب فرص العمل بين فرص العمل للمهندسين / الفنيين وفرص العمل للعمال غير المهرة / شبه المهرة . وفي قطاع الخدمات ، أصبحت تجارة التجزئة والخدمات الاستهلاكية تهيمن عليها الوظائف بدوامٍ جزئي والوظائف "الثانوية" (الوظائف في الشركات الصغيرة أو المتاجر الصغيرة أو مكاتب الشركات الكبيرة ، حيث لا تتوفر سوى مهاراتٍ قليلة) . مطلوب ، ومستويات الأجور منخفضة ، وفرص الترقي ضئيلة . من ناحية أخرى ، تميل الخدمات الحكومية إلى زيادة مجموعة الوظائف "الأساسية" (وظائف ذات مستويات أعلى من الأجور والأمان) .

إحدى النتائج الرئيسية لهذه التغييرات ، من وجهة نظر جغرافية الحضر الاجتماعية ، هي أن نسبة متزايدة من أسر الطبقة العاملة والمتوسطة على حد سواء تجد صعوبة متزايدة في تحقيق ما عدته مستوى مقبولًا من المعيشة بدخل واحد فقط . كان أحد ردود الفعل على ذلك هو توسع الأسرة ذات الراتبين ؛ وكان آخرها نمو وتطور الاقتصاد غير الرسمي ، والذي بدأ بدوره في خلق أنواعا جديدة من التنظيم الأسري ، وتقسيمات جديدة للمساحات المنزلية والحضرية ، وأشكال جديدة من العلاقات المجتمعية . وأخيرًا، من المهم أن نضع في الحسبان أن العديد من التغييرات الناجمة عن التحول الاقتصادي تحدث في وقت واحد داخل معظم المدن الكبرى . وهكذا نشهد ، جنبًا إلى جنب ، نمو الخدمات المؤسسية المتقدمة وتطور ورش العمل الاستغلالية التي يديرها عمال غير موثقين ؛ وظهور مجموعات جديدة من المديرين التكنوقراط الميسورين ،

وتهميش الفئات المحرومة حديثًا . ونتيجة لذلك ، فإن **الجغرافيا الناشئة للمدن الكبرى معقدة** . فهي تخلق مجالات اجتماعية جديدة متميزة ، إلا أنها مضطرة إلى ربط هذه المجالات ضمن وحدة وظيفية واحدة .

بصمة التغير الديموغرافي

خلال الثلاثين عامًا الماضية أو نحو ذلك ، حدثت بعض التغيرات الديموغرافية المهمة التي بدأت تنعكس بالفعل على الجغرافيا الاجتماعية لمدينة أوائل القرن الحادي والعشرين . لم تختفِ عائلة القصص المصورة في قصص "ديك وجين" (حيث تظهر أمٌّ ترتدي مريلةً وتخبز الكعك للطفلين بينما ينتظران عودة الأب من يومٍ من كسب الرزق) بأي حال من الأحوال ، ولكنها تتلاشى بسرعة مقارنةً بأنواع أخرى من العائلات . ففي الولايات المتحدة ، على سبيل المثال ، يعيش معظم الناس في أسرٍ تضمّ عاملين . وتُعدّ الأسرة ذات الوالد الوحيد الأسرع نموًا على الإطلاق بين أنواع الأسر، ويتكون ما يقرب من أسرة من كل ثلاث أسر من شخص يعيش بمفرده (الجدول 1.1).

Social geography and the sociospatial dialectic

Table 1.1 Household composition, United States, 1950–2000 (percentages)

	Married couples					
	Home-making wife	Working wife	Headed by wife	Persons living alone	Other	Total
1950	59.4	19.6	8.4	10.8	1.8	100
1955	54.2	21.7	8.8	12.8	2.5	100
1960	51.2	23.3	8.5	14.9	2.5	100
1965	47.0	25.6	8.7	16.7	2.0	100
1970	41.6	28.9	8.8	18.8	1.9	100
1975	36.6	29.2	10.0	21.9	2.3	100
1980	30.3	30.6	10.8	26.1	2.2	100
1990	23.0	32.2	11.6	29.8	3.4	100
2000	17.5	34.2	12.2	31.9	4.2	100

Source: US Census Bureau.

تحدث تغيرات مماثلة في معظم المجتمعات الغربية الأخرى استجابةً للعوامل المعقدة نفسها .

وتُعد تجربة الجيل المولود بعد الحرب العالمية الثانية (جيل طفرة المواليد) محور كل هذه التغيرات . كان جيل طفرة المواليد - أولئك الأفراد المولودون بين عامي 1946 و1964 - أحد أقوى التأثيرات الديموغرافية وأكثرها ديمومة على المجتمعات الأوروبية والأمريكية الشمالية . لم تكن طفرة المواليد بعد الحرب تتعلق بإنجاب النساء المزيد من الأطفال ، بل كانت ، بدلاً من ذلك ، قائمة على زواج المزيد من الأشخاص بشكل عام وإنجاب طفلين على الأقل في مرحلة مبكرة من الزواج . خلال الخمسينيات وأوائل الستينيات تزوجت الشابات أيضًا في سن أبكر من الجيل السابق وأنجبن أطفالًا في سن أبكر . والنتيجة هي وجود فئة كبيرة جدًا من الأفراد ، تتراوح أعمارهم حاليًا بين منتصف الأربعينيات وأوائل الستينيات ، والذين كان لهم ، وسيظل لهم ، تأثير هائل على بقية السكان .

أدى ظهور وسائل منع الحمل الموثوقة في منتصف الستينيات إلى تأجيل الإنجاب لدى جيل طفرة المواليد مع وصول أول جيل منه إلى سن الزواج . في الوقت نفسه ، دفع زوال "الأجر المعيشي" ، المذكور أعلاه ، المزيد من النساء إلى العمل بدوام كامل وتأجيل الإنجاب أو العودة إلى العمل بعد الولادة بفترة وجيزة

. أدى انخفاض معدلات المواليد إلى ظهور جيل يعاني من "انخفاض المواليد" . في الوقت نفسه ، ومع بدء آبائهم من جيل طفرة المواليد في بلوغ ذروة دخلهم، لعبوا دورًا فعالًا في تحول ثقافي مهم : تغيير في تفضيلات نمط الحياة ، من الأسرة إلى الاستهلاك . لهذه الاتجاهات بعض الآثار المهمة على جغرافية الحضر الاجتماعية . فبالإضافة إلى آثار نمط الحياة الحضرية الاستهلاكي المتزايد ، وتأثيرات انخفاض معدلات المواليد على العديد من جوانب الاستهلاك الجماعي ، وتأثيرات ارتفاع نسب النساء العاملات على الطلب على مرافق رعاية الأطفال ، هناك آثار شيخوخة جيل طفرة المواليد .

سيكون جيل انخفاض المواليد ، بطبيعة الحال ، هو الجيل الذي سيضطر إلى "التخلص" من عبئ تزايد أعداد جيل طفرة المواليد بعد صعودهم في سلمهم الوظيفي نحو التقاعد وما بعده . من المرجح أن يؤثر الحجم الهائل لجيل طفرة المواليد على المسار المهني والتنقل الوظيفي لهؤلاء الذين تجاوزوا سن التقاعد . ومع تزايد عددهم وبلوغهم سن التقاعد ، فإن عبئ تمويل صناديق التقاعد سيقع بشكل متزايد على عاتق هؤلاء الذين تجاوزوا سن التقاعد . ولعل أهم تغيير على الإطلاق هو التغيير العام ، وإن كان تدريجيًا وغير مكتمل ، في المواقف تجاه المرأة ، والذي صاحب الاستهلاكية ، وتنظيم النسل ، وزيادة مشاركة الإناث في سوق العمل . وقد انعكس هذا التغيير في المواقف تجاه وضع المرأة في تحسين فرص التعليم ، وتوسيع خيارات العمل ، وكلاهما عزز تطور هياكل أسرية وأنماط حياة غير تقليدية .

بالإضافة إلى ذلك ، بمجرد أن أصبح الرأي القائل بأن الجنس لا ينبغي أن يهدف أساسًا أو حصريًا إلى الإنجاب مقبولًا بشكل عام ، بدأت اتجاهات أخرى في التحرك . تراجعت القيمة الاجتماعية للزواج ، ما أدى إلى انخفاض في معدل الزواج ، وزيادة في حالات الطلاق ، وزيادة في المعاشرة دون زواج - وكلها عوامل ساهمت في خفض معدل الخصوبة بشكل أكبر، وخلق أعدادا كبيرة من الأسر غير التقليدية (وخاصة الأسر ذات الوالد الواحد) ذات الاحتياجات السكنية غير التقليدية ، وسلوكيات السكن غير التقليدية ، والمتطلبات غير التقليدية للخدمات الحضرية . في الوقت نفسه ، أدت آثار إعادة الهيكلة الاقتصادية ، إلى جانب زيادة عدد الأسر التي ترأسها نساء ، والدور المتدني عمومًا المخصص للمرأة في سوق العمل ، إلى تسريع مجموعة أخرى من التغييرات ذات الآثار المهمة على جغرافية الحضر الاجتماعية : التهميش الاقتصادي للمرأة وتأنيث الفقر.

كان أحد التغيرات الديموغرافية الأخيرة والمهمة في المدن الغربية في السنوات الأخيرة هو تنامي طابعها العالمي ، أي تزايد التنوع الثقافي والعرقي . ويتجلى هذا بشكل خاص في المدن الكبرى مثل لندن (الشكل 1.1) ، وباريس، ونيويورك ، ولوس أنجلوس (ينظر أيضًا الملحق 1.3) . فقد كانت هذه المدن بمثابة مراكز استقبال لأشخاص من بلدان عديدة لسنوات عديدة . ينبع جزء كبير من تنوعها المعاصر من أحفاد موجات الهجرة السابقة . وينطبق هذا بشكل خاص على المدن الأمريكية ، بما تتميز به من خليط نموذجي من الأحياء العرقية المتنوعة . ومع ذلك ، فقد غيّرت موجات الهجرة الجديدة في السنوات الأخيرة طابع المدن . قد يكون نطاق الحركة أصغر مما كان عليه في الماضي ، لكن نطاق الشعوب أكبر بكثير أكثر تنوعًا .

لم يعد النمط السائد هو الهجرة من أوروبا إلى الولايات المتحدة ، أو من المستعمرات السابقة إلى المدن الأوروبية ، بل حركة الشعوب من جميع أنحاء العالم إلى جميع المدن الغربية الرئيسية . وسواء أكانوا مؤقتين أم دائمين ، قانونيين أم غير قانونيين ، فقد انجذب هؤلاء المهاجرون إلى الفرص الاقتصادية المتاحة في المدن الغربية . بعضهم نخبة من العمال ذوي المهارات العالية الذين يعملون في سوق عمل عالمي ، بينما آخرون عمال أقل مهارة ومستعدون للقيام بأعمال منخفضة الأجر نسبيًا . وهناك مهاجرون آخرون يلتمسون اللجوء من القمع السياسي . ويحاول آخرون التسلل متخفين وراء ستار اللاجئين السياسيين ، بينما هم في الواقع مهاجرون اقتصاديون .

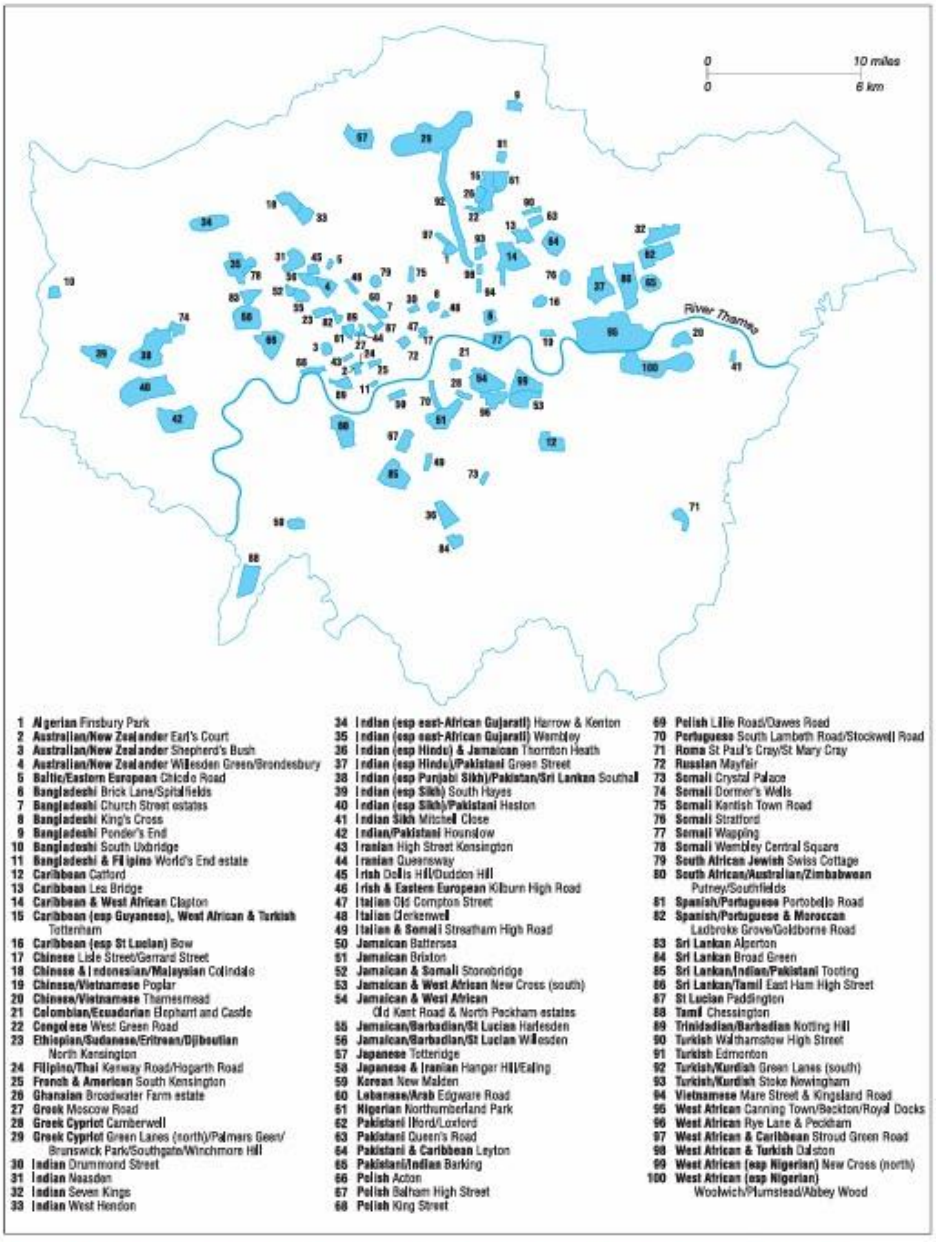

Figure 1.1 Cosmopolitanism in London: the distribution of ethnic minority clusters in 2004.
Source: After The world in one city, Guardian, G2 Supplement, 21 January 2005 (Benedictus, L.), Copyright Guardian News & Media Ltd. 2005.

المدينة والتغيير الثقافي

كان صعود الاستهلاك والقيم المادية أحد الاتجاهات الثقافية السائدة منذ عام 1980. أحد أسباب ذلك هو التحول في نمط الحياة المرتبط بجيل طفرة المواليد ، الموصوف أعلاه . سبب آخر هو أن الناس أصبحوا أكثر مادية ، إذ اضطرت الرأسمالية ، في سعيها وراء الأرباح ، إلى التحول عن عالم الإنتاج الخاضع للتنظيم المتزايد ، نحو عالم الاستهلاك الأسهل استغلالًا . في غضون ذلك ، سمح الرخاء النسبي في فترة ما بعد الحرب للعديد من الأسر بأن تكون أكثر انتباهًا للاستهلاك . لسبب أو لآخر، سرعان ما تعلّم الناس مغالطة

الاستهلاك المفرط . كان أحد الجوانب المحورية لهذا الاتجاه ، من وجهة نظر جغرافية الحضر الاجتماعية ، هو الطلب على امتلاك المنازل ، وما ترتب على ذلك من تركيز على المنزل وملحقاته كتعبير عن الذات والهوية الاجتماعية . على خلفية هذا الاتجاه العام نحو الاستهلاك ، ظهرت في ستينيات القرن الماضي ثقافة مضادة مميزة لشباب الطبقة المتوسطة ، قائمة على رد فعل ضد المادية والحجم والتكنولوجيا المتقدمة .

يمكن رؤية هذه الأفكار، على سبيل المثال ، في تسييس القيم الليبرالية / البيئية فيما يتعلق بالتنمية الحضرية والاستهلاك الجماعي ، وفي مجال العمارة والتصميم الحضري ما بعد الحداثي والرومانسي الجديد . مع ذلك ، تجدر الإشارة إلى أن انتشار هذه القيم لم يح ل، في معظمه ، محل المادية ، بل إنها نمت جنبًا إلى جنب معها . أصبحت الطبقات المتوسطة تستحوذ على كل شيء (عضوي) وتأكله أيضًا ، بفضل التطور التجاري للمنتجات والخدمات الموجهة للأذواق الليبرالية / البيئية . في الوقت نفسه ، عززت الاتصالات الرقمي ة، والأشكال المبتكرة للتمثيل الإلكتروني ، والعولمة الاقتصادية ، تيارًا ثقافيًا متجانسًا ، حيث ضعفت فيه أهمية وخصوصية الأماكن والمجتمعات الفردية . ويترتب على ذلك ، بدوره ، زيادة الاهتمام لدى بعض المستهلكين بالحفاظ على الشعور الحضري بالمكان وتطويره .

التغيير السياسي وجدلية المكان الاجتماعية

إن الاتجاهات الموضحة أعلاه زاخرة بالمشاكل والمآزق التي تُعدّ حتمًا من بين القضايا السياسية السائدة . فقد أدت إعادة الهيكلة الاقتصادية إلى إعادة تنظيم العلاقات الطبقية ، حيث أصبحت الاختلافات تُرسم بشكل متزايد على أسس جغرافية (وهيكلية) . ومع تزايد تجزئة أسواق العمل ، ومع اتساع نطاق عمليات النمو والانحدار، ومع إعادة تشكيل التحولات في ميزان القوة الاقتصادية والاجتماعية للمشهد السياسي ، يسود تيار مستمر من التوترات السياسية . وكان من أبرز ما برز في هذا السياق انتشار فكرة أن دول الرفاهية لم تُولّد فقط مستويات مرتفعة بشكل غير معقول من الضرائب ، وعجزًا في الموازنة ، وعوامل مثبطة للعمل والادخار ، وطبقة متضخمة من العمال غير المنتجين ، بل إنها ربما عززت أيضًا مواقف "متساهلة" تجاه الفئات "المشكلات" في المجتمع .

ومن المفارقات أن الجاذبية الانتخابية لهذه الأيديولوجية تُعزى إلى نجاح دول الرفاهية في محو شبح الحرمان المادي المباشر من أذهان الناخبين . ونتيجةً لذلك ، تراجعت الأولوية الممنوحة لنفقات الرفاهية (على الرغم من أن منطقها ، والأهم من ذلك ، تكاليف الحفاظ عليها ، لم يتراجع) ، وحلت محلها سياسات نيوليبرالية قائمة على دور محدود للدولة ، بافتراض أن الأسواق الحرة هي الشرط الأمثل ليس فقط للتنظيم الاقتصادي ، بل أيضًا للحياة السياسية والاجتماعية (برينر، 2002). وقد أحدث تقليص القطاع العام بالفعل بعض التغييرات المهمة في المشهد الحضري ، كما هو الحال ، على سبيل المثال ، في **خصخصة الإسكان والمرافق العامة و الخدمات** . في غضون ذلك ، أدى تراجع التصنيع والركود الاقتصادي إلى تعميق الفوارق الاجتماعية والمكانية . وقد غيّر هذا ديناميكيات سياسات المدن الداخلية ، في حين أن سياسات الطبقة العاملة "التقليدية" ، بعد أن فقدت الكثير من زخمها ، بل وجاذبيتها ، تُستبدل بـ"موجة جديدة" من السياسات المحلية (الفصل 5) . سيطرت النيوليبرالية على الاقتصادات الغربية منذ أوائل الثمانينيات ، ويبقى أن نرى ما إذا كان التدخل الحكومي الضخم في النظام المالي الناجم عن "أزمة الائتمان" يُنذر بإعادة تفكير جذرية في مجالات سياسية أخرى تؤثر على هياكل المدن .

ملخص الفصل

1.1 هناك عدة مناهج مختلفة – كمية ، وسلوكية ، وبنيوية ، وما بعد بنيوية - ذات صلة بفهم المدن المعاصرة
1.2 تعكس المدن جدلية اجتماعية مكانية ، وهي عملية ثنائية الاتجاه يُعدّل فيها الناس مساحاتهم الحضرية ، وفي الوقت نفسه يتأثرون بالمساحات التي يعيشون ويعملون فيها .
1.3 تعكس هياكل المدن الخلفيات الاقتصادية والديموغرافية والثقافية والسياسية المحيطة بها . وبالتالي ، تتميز مدن أمريكا الشمالية بخصائص مختلفة نوعًا ما عن المدن الأوروبية .

ملحق 1

المفكرون الرئيسيون في جغرافية الحضر الاجتماعية - ديفيد هارفي . تُبرز مسيرة ديفيد هارفي التغيرات المنهجية الهائلة التي طرأت على الجغرافيا منذ سبعينيات القرن الماضي . في الواقع ، من الصعب التفكير في أي شخص كان له تأثير أكبر على الجغرافيا البشرية خلال هذه الفترة . بدأ هارفي مسيرته المهنية في أواخر الستينيات مدافعًا عن النهج "العلمي" والوضعية ، والأساليب الكمية ، وقد دافع بقوة عن هذه المناهج في كتابه "التفسير في الجغرافيا "(1969) . ومع ذلك ، في أوائل السبعينيات ، بدأ يشعر بأن الجغرافيين لم يُولوا اهتمامًا كافيًا للقضايا الاجتماعية العديدة التي برزت خلال تلك الأوقات العصيبة .

يُظهر كتابه الرئيسي التالي ، "العدالة الاجتماعية والمدينة" (1973) ، تحوله من موقف ليبرالي (حيث استخدم النصف الأول من الكتاب العلوم الاجتماعية السائدة لتحليل المشكلات) إلى نهج ماركسي (مُحدّثًا الماركسية الكلاسيكية لتفسير التغيرات الحديثة) . ويبدو أن المدن لعبت دورًا هامًا في التحول الجذري الذي طرأ على منظور هارفي . فقد جعله انتقاله عام 1969 من جامعة بريستول في المملكة المتحدة إلى جامعة جونز هوبكنز في بالتيمور مُدركًا للنطاق الهائل للفقر المُتفشّي في العديد من المدن الأمريكية التي كانت تُعاني من فقدان وظائف واسع النطاق في ذلك الوقت .

ظل ديفيد هارفي من أشدّ المُناصرين للتفسيرات الماركسية للتغيرات في المدن ، مُقاومًا التبني الواسع النطاق لمنظورات ما بعد البنيوية . وقد عبّر عن دفاعه في أحد أكثر كتب العلوم الاجتماعية مبيعًا في السنوات الأخيرة - "حالة ما بعد الحداثة" (1989ب) . تعرّض عمل هارفي لانتقادات لتركيزه على مصادر الصراع الاقتصادي الطبقي ، ولتقليصه أهمية مصادر أخرى لعدم المساواة في المدن ، مرتبطة بعوامل مثل الجنس والعرق والتوجه الجنسي (دويتشه، ١٩٩١) . جادل هارفي (١٩٩٦) بأنه على الرغم من وجود العديد من مصادر "الاختلاف" في المجتمع ، إلا أن العمليات الاقتصادية الأساسية التي تُؤدي إلى الاستغلال هي أساس كل هذه المصادر.

ملحق 2

نقاشات رئيسية في جغرافية الحضر الاجتماعية - ما هو تأثير الإنترنت؟ يتعلق أحد أهم النقاشات في العلوم الاجتماعية في السنوات الأخيرة بتأثير الممارسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الناشئة المرتبطة بالإنترنت (أو ما يُسمى عمومًا بمجتمع المعلومات الشبكي) (بنكلر، 2006) ، على سبيل المثال ، جميع تقنيات الاتصالات الجديدة ، مثل الهواتف المحمولة ، والمنظمين الإلكترونيين ، ومؤتمرات الفيديو، بالإضافة إلى البرامج التي تُتيح التواصل الاجتماعي ، والتسوق عبر الإنترنت ، والمقامرة ، والبرمجة مفتوحة المصدر، إلخ). يهتم الجغرافيون ، بطبيعة الحال ، بتأثير هذه العوامل على أمور مثل التنظيم الصناعي ، والحياة الحضرية ، وأشكال السكن . وتنشأ صعوبة كبيرة في تقييم تأثير الإنترنت من أن بعض هذه التأثيرات حديثة

، وقليلة الدراسة ، وموضوع ضجة إعلامية لا أساس لها . كما أن هناك مشكلة أخرى تتمثل في أن بعض التأثيرات الأخرى من المرجح أن تكون طويلة المدى . على سبيل المثال ، بينما اختُرعت الكهرباء ومحرك الاحتراق الداخلي في أواخر القرن التاسع عشر، لم تُدرك آثارهما بالكامل إلا في أواخر القرن العشرين ، متمثلةً في التوسع العمراني الشامل والاحتباس الحراري . وهكذا ، فبينما يبدو أن وتيرة التغير التكنولوجي تتسارع ، سيستغرق الأمر بضع سنوات قبل أن يُدرك التأثير الكامل لمجتمع المعلومات الشبكي .

من الواضح بالفعل أن بعض التكهنات المبكرة وتوقعات المستقبل المرتبطة بالإنترنت كانت بعيدة كل البعد عن الصواب . على سبيل المثال ، كانت التقارير عن "زوال اثر المسافة" ، على حد تعبير الروائي مارك توين في نعيه (المبكر) ، "مبالغًا فيها إلى حد كبير" . في حين أن بعض أشكال المعرفة القابلة للتدوين تنتشر الآن بسهولة في جميع أنحاء العالم عبر الوسائل الإلكترونية (مثل كتيبات التعليمات) ، فإن أنواعًا أخرى من المعرفة (التي تُسمى أحيانًا المعرفة الضمنية - مثل كيفية تشغيل الأدوات أو برامج الكمبيوتر الجديدة!) تعتمد بشكل متزايد على التواصل المباشر . وهكذا نجد أن القطاعات الاقتصادية التي تتطلب تبادل مجموعات معقدة من المعرفة ، مثل الصناعات عالية التقنية ، تتجمع في الضواحي الصناعية (مثل وادي السيليكون الشهير في كاليفورنيا) . وبالمثل ، غالبًا ما تزدهر الصناعات الإبداعية ، مثل السينما والموسيقى والتصميم والإعلان ، والتي تعتمد بشكل حاسم على "الاطلاع" ، في "الأحياء الثقافية" في وسط المدينة (مثل الحي الشمالي في مانشستر) . ونتيجة لذلك ، نجد أنه في السنوات الأخيرة ، وبعيدًا عن كونها زائدة عن الحاجة بسبب تقنيات الاتصالات الجديدة ، فقد شهدت المدن عودة قوية . كما تم المبالغة في الادعاءات المثيرة بأن الإنترنت سيؤدي إلى علاقات اجتماعية أقل حميمية ، وحياة مجتمعية ، ورأس مال اجتماعي .

وفيما يتعلق بالمجتمع والتفاعل الاجتماعي ، نعلم الآن ما يلي . أولاً، تُمكّن تقنيات المراسلة الفورية الآباء من مراقبة أبنائهم عن كثب ، وهناك توطيد عام للعلاقات بين أفراد الأسرة . في الوقت نفسه ، يشهد كل من الأطفال والشباب تأثيرًا منافسًا لزيادة الروابط مع أقرانهم . كما يتمكن أفراد العائلة والأصدقاء البعيدون من البقاء على اتصال أوثق عبر البريد الإلكتروني الذي يُجنّبهم التكلفة والتنسيق اللازمين للتواصل عبر الهاتف . بالإضافة إلى ذلك ، يتمكن الأفراد من الانضمام إلى أعداد متزايدة من "المجتمعات الافتراضية" غير المترابطة المتعلقة بالعمل والترفيه والاستهلاك . وبالتالي ، فإن أشكالًا جديدة من التواصل الاجتماعي شديدة السيولة ولكنها ما تزال ذات مغزى... بدأت الشبكات بالظهور (على سبيل المثال ، يتزايد عدد الأشخاص الذين يجدون شركاء عبر الإنترنت) .

تشير معظم الأدلة الحالية حتى الآن إلى أنه على الرغم من أن الأفراد الذين يستخدمون الإنترنت لديهم روابط أبعد ، إلا أن هذه الروابط لم تقلل من عدد روابطهم المحلية (على سبيل المثال ، ديماجيو وآخرون، 2001) . ويبدو أن عوامل أخرى أكثر أهمية في تحديد هذه الأخيرة ، بما في ذلك عوامل مثل الشخصية ومدة الإقامة في الحي . ومع ذلك ، بدأت العديد من التأثيرات الأخرى لمجتمع المعرفة الشبكي بالظهور:

- تواجه العديد من الصناعات التي تعتمد على الاستيلاء على أنواع معينة من المعرفة ، أو الملكية الفكرية أو الفنية ، منافسة من أنظمة التوزيع الشبكية غير المُسوّقة (على سبيل المثال ، يُهدد تنزيل الموسيقى غير القانوني صناعات الموسيقى ؛ وتُقوّض المدونات الإلكترونية الصحف) .
- يجري تطوير برامج جديدة من قِبل أفراد مرتبطين بشبكات غير مُحكمة (مثل لينكس) .
- أدت الجهود التطوعية للعديد من الأفراد إلى تطوير ويكيبيديا (مع أن القيمة الفكرية لهذا المسعى قد تُثير مشاعر قوية لدى كلا الجانبين!) .

- كان نجاح حملة باراك أوباما الرئاسية لعام ٢٠٠٨ ، إلى حد كبير ، نتيجةً لنجاح فريقه الانتخابي في توظيف تقنيات الاتصالات الجديدة .

وما تزال هناك أسئلة كبيرة مطروحة :

➤ هل ستؤدي هذه التقنيات الجديدة إلى عصر جديد من المسائلة الديمقراطية والإنتاج الثقافي اللامركزي من قِبل شعب مُمَكَّن ؟

➤ أم أنها ستؤدي إلى جيل "مُغفَّل" ، "ما بعد الطباعة" ، مُحروم من التمكين بسبب مستويات سطحية من المعرفة "الهواة" ؟

➤ هل ستؤدي الصعوبات المتزايدة في إنفاذ حقوق النشر وتوزيع المعرفة الملكية إلى تقويض الصناعات التي اعتمد عليها جزء كبير من نمو الاقتصادات الغربية في السنوات الأخيرة ؟

Ethnic group	Numbers (000s)	Percentage of total population
White: British	4287	59.8
White: Irish	220	3.1
White: other	595	8.3
Mixed	226	3.2
Indian	437	6.1
Pakistani	143	2.0
Bangladeshi	154	2.1
Other Asian	133	1.9
Black: Caribbean	344	4.8
Black: African	379	5.3
Other black	60	0.8
Chinese	80	1.1
Other ethnic group	113	1.6
All ethnic groups	7192	

Source: 2001 census data, National Statistics website: www.statistics.gov.uk.

ملحق 3

الاتجاهات الرئيسية في جغرافية الحضر الاجتماعية - تنامي التعددية الثقافية في المدن الغربية : مثال لندن شهدت المدن الغربية في السنوات الأخيرة تنامي التعددية الثقافية ، وهو اتجاه رئيسي . ولا يعكس هذا التنوع الثقافي أحفاد الأجيال السابقة من المهاجرين فحسب ، بل يعكس أيضًا المهاجرين الجدد ، مثل العمال المؤقتين والطلاب واللاجئين وطالبي اللجوء والسياح طويلي الأمد . قليلة هي المدن التي تُجسّد هذه التعددية الثقافية بشكل أفضل من لندن . وكما يُشير هامنيت (2003) ، كانت الأقليات العرقية في لندن في ستينيات القرن الماضي صغيرة الحجم والامتداد . ومع ذلك ، وكما هو موضح في الجدول المقابل ، بحلول عام 2001، كان أكثر من ثلث سكان لندن ، وفقًا لتعداد السكان ، من غير "البريطانيين البيض" .

تتمتع بعض المدن بنسب أكبر من المجموعات الفردية ، مثل اللاتينيين والأمريكيين من أصل أفريقي ، في لوس أنجلوس . ومع ذلك ، لا تُضاهي سوى القليل منها التنوع العرقي الهائل الموجود في لندن . هذا التنوع لا يعكس فقط الماضي الاستعماري لبريطانيا ، بل يعكس أيضًا مكانة لندن كمركز مالي دولي ، وخدمات أعمال ، وصناعات إبداعية وثقافية . وقد جسّد المعلق الاجتماعي البارز أنتوني سامبسون الأجواء الناتجة في لندن ببراعة : أصبحت العاصمة [لندن] الأكثر عالميةً في العالم ، من أعلى إلى أسفل ، تعجّ بالأمريكيين ، والأوروبيين ، والأستراليين ، والآسيويين ، والأفارقة ، والعرب... الشوارع والحافلات تعجّ باللغات الأجنبية ، وتمتلئ بالحجاب الإسلامي واللحى والعباءات الأفريقية . يضم الشارع الرئيسي مطاعم من 30 دولة ، بما في ذلك العراق ، وإيران ، والسودان . ولعلّه ليس من المستغرب إذن أن تنشر مجلة نيوزويك عام 1999 قصة غلاف بعنوان "لندن : أروع مدينة على وجه الأرض" (4 نوفمبر).